

لم تختَر ذاتك .. إبراهيم يحيى أبوليلي



لقد تعجبت كثيراً من هذا الهيكل المخلوق من الطين ، كيف يفضل أن يندحر إلى مادته الطينية دون أن يسمو بروحه التي نفخ الله فيها من روحه العلية ..
فعندما يختار هذا المخلوق - من ماء مهين كما وصفه المولى جل و علا - أن يتمرغ في أوحال مادته برغم أن الله كرمه و جعله في المرتبة العليا بين مخلوقاته التي بثها في هذا الكون ..

إنك أيها الانسان لم ترتقي إلى هذه المرتبة المتقدمة بين المخلوقات ، إلا لأن الله نفخ فيك من روحه و بؤك هذه المكانة حتى حسدك عليها إبليس ، و اختار الجحيم على أن يسجد لك ، فطرده الله من جنة عدن بسبب معصيته لخالقه و إكراماً لك .. و مع ذلك أظعته فتريدت و أهنت نفسك العزيزة بعزة خالقك ..

عندما تسخر من بني جنسك الذي خلق من نفس الطين الذي سواك الله منه بفارق اللون أو بعض الفوارق الاجتماعية - و هي في ميزان الله ليست بذات أهمية - ، حتى لو حاول بعض قصار النظر أن يجعلوها هي الأهم في تعاملاتهم مع بعضهم ..

و لا أدري كيف يسوغ فان لنفسه أن يسخر من فانٍ مثله .. فهم في المرتبة الخلقية سواء (من نفس المادة مع تغير طفيف في اللون أو الشكل و الهيئة) ، و هذا من حكمة خالقهم فهو أعلم باللون و الهيئة التي تصلح لكل واحد منهم ، قال تعالى : (الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك) ..

و لو علم هذا المستهزء أنه يستهزأ بمن سواهم و خلقهم و يعيب من صنع فأتقن ماصنع .. لاستفطع عمله ذلك و خر باكياً ممرغاً وجهه في الرغام ، لعل الله أن ينظر إليه بعين الرحمة فيرحمه ..

كم و كم من الآيات و العبر في خلق هذا الكائن العجيب .. فكثير هم الذين يجهلون الحكمة من خلقهم بالصورة التي هم عليها ، فقد يكون مصدر هذا الجهل و عدم الدراية هو الغرور الذي طغى على العقول و الأنفس ، التي أبت إلا اختيار الهبوط و التسفل و الالتصاق بالأرض عن الرفة و العلو و الرقي ..

و قد يكون الغرور بما عنده من مال و جاه أو غيره .. قال تعالى : (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) ، ثم يقول الله منبهاً كل من حاد عن الجادة (إن إلى ربك الرجعى) .. فتنبه أيها الغافل و السادر في الغي و الطغيان ..

و الله لا يوجد عاقل كامل العقل يختار التردى إلى أوحال السخرية على الارتقاء و الرفة بالأخلاق الحسنة ، و لو فتشنا في علة أولئك فلا بد أن تظهر علتهم في احتقار الآخرين و عقد نمت في النفس مع مرور الأيام لأي سبب كان ، حتى أصبح ذلك خلق يلازمه ما لم يردعه رادع قوي يصعقه فينتبه من غفلته ..

فيا أيها الانسان الجهول ارفع رأسك عن الوحل و اسمو بخلقك فتسمو روحك ، و عندها تكون قد حملت بحق وسام قدمه لك خالقك (و لقد كرمنا بني آدم) ، و أعلم أنك لست الإبن الوحيد و الأوحد لأبيك آدم .. فكل البشر هم أخوتك بكل ألوانهم و أشكالهم و هيئاتهم ..

فإن أبيت إلا التماذي بجهلك فلا نمك سوى أن نرثي لحالك لأنك إذن لمن الهالكين ... نسأل الله السلامة .

إبراهيم يحيى أبو ليلي